

الحياة الإجتماعية فى الإسلام

بقلم: محمد سلامة الغنيمى

كان العرب قبل القرآن عبارة عن قبائل متفرقة متنازعة ، تسود فيهم العصبية القبلية والهمجية البدوية ، فتقوم الحروب بينهم على أتفه الأسباب ، تنتشر بينهم الأمية ويتفشى فيهم الجهل ، وكان الرق جزءاً أساسياً فى حياتهم ، يسخرونهم الأغنياء لخدمتهم ويستعملونهم فى تجارتهم ، ليس لهم حقوق ، وليس هناك قوانين وأسس تحكم العلاقة بين الخادم والسيد ، فكل سيد يعامل خادمه كيف يشاء . وكان لديهم بعض العادات الإجتماعية السيئة مثل التقليل من شأن المرأة وإحتقارها ، فكانت زوجة الأب تورث مثلها مثل سائر الحيوانات والماديات ، وإنتشرت بينهم عادة وأد البنات وهى دفنهم أحياء ، فضلاً عن التشاؤم والطيرة خاصة من الأنتى .

وإنتشرت بينهم الكثير من السلوكيات الخاطئة ، مثل شرب الخمر وكانوا يحبونها حباً جماً ، وكذلك الميسر فكانوا يراهنون ويقامرون ، وبجانب ذلك ساد فيما بينهم التعامل بالربا .

فجاء القرآن الكريم بنهج إجتماعى أخلاقى ، كان من نتائجه توحيد تلك القبائل المتناثرة المتناحرة فى قالب الأخوة الإسلامية ، وأزال الفوارق الإجتماعية ، وجعل الأفضلية للأتقى ، وأكرم المرأة وأعطاها حقها أمماً وزوجة وبنثاً وأختاً ، وألغى العادات والسلوكيات الجاهلية الأثمة ، مثل وأد البنات والتعامل بالربا وشرب الخمر ولعب الميسر فسار المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضهم بعضاً ، فتعاونوا على نصرة الدين ، فسادوا العالم أكثر من ألف عام ، وحضارتهم هى الحضارة الباقية الخالدة إلى يوم القيامة ، فى حين أن جميع الحضارات القديمة ولت وإندثرت مع مرور الأيام ، ولم يبق منها إلا أطلال خاوية ، وأثاراً بالية.

والأن ما هى القواعد والأسس الإجتماعية التى يركز عليها المنهج الإسلامى فى الحياة الإجتماعية ، التى ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها صحابته ، فكان منهم ما كان ، حتى نربى أبنائنا عليها .

العدالة الإجتماعية :

من أهم المبادئ التى أرساها الإسلام والتى يقوم عليه المجتمع الإسلامى ، والأسس التى تؤسس عليها العلاقات بين أفراد المجتمع المسلم ، والعدل هو المعيار الذى يدرك من خلاله

مدى ثبات المجتمع وإستقراره ، فالمجتمع الذى يتفشى فيه الظلم وتضيع فيه الحقوق وتغيب بين أفراده الواجبات ، فهو مجتمع جاهلى فوضوى ، حيث يتسم أفراد بهيجان النفس وإضطراب القلب وشروء الفكر وذهاب العقل من جراء الخوف والظلم وعدم الشعور بالإستقرار والأمن ، فيسود بينهم النزاع والشقاق وتتفشى فيهم الجريمة وكل ذلك من أمارات خراب المجتمعات وذهابها ، فما قامت الصراعات والثورات وتغيرت الحكومات والأنظمة السياسية والإجتماعية إلا نفوراً من الظلم وبحثاً عن العدل .

أما المجتمع الذى يسود فيه العدل وتعرف فيه الحقوق وتؤدى فيه الواجبات فهو مجتمع يتسم بالثبات والإستقرار ، حيث تسكن فيه النفوس ، وتطمأن فيه القلوب فتهدأ فيه الضمائر وتهتدى فيه العقول ، لشعورهم بالأمان والإستقرار ، مما يؤدى إلى رخاء وإزدهار ذلك المجتمع ، لانه لا ثبات ولا تقدم إلا بالأمان والإستقرار ، ولأمن ولا إستقرار إلا بالعدل ، وكما قيل : " إن الله يقيم الدولة الكافرة مع العدل ، ويهلك الدولة المسلمة مع الظلم "

لذلك عنى الإسلام بالعدل ، وجعله حقاً للجميع مع الطبقات والفئات والأشخاص ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوتُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا " { النساء : ١٣٥ } ، فلا فرق بين الغنى والفقر والصغير والكبير والصالح والطالح والضعيف والقوى والكافر والمسلم والحاكم والمحكوم والحقير والعظيم والعدو والصديق ... فالكل فى ميزان العدل سواء ، روت عائشة.....

، قال تعالى : " لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ " { الحديد : ٢٥ } .

المساواة الإجتماعية :

المساواة تعنى : المماثلة والمتشابهة فى القدر والقيمة ، فالمساواة بين إثنين تعنى أن لهم نفس الحقوق وعليهما نفس الواجبات ، ولا فرق بينهم ، وعكسها الظلم والإستبداد .

فالمساواة الإجتماعية من أهم المبادئ التى ينادى بها الإجماعيين والتربويين فهى القاعدة التى تحفظ للبشر حقوقهم ، فمن يريد التميز فى ظل مجتمع تغيب فيه المساواة ويسوده التمييز الطبقي والنعصب العرقى فلن يجد النور ، لان مثل هذا المجتمع تُقتل فيه المواهب وتضعف فيه القدرات ، فالظلم

الإجتماعى يؤثر تأثيراً كبيراً على سلوك وأخلاق أفراد المجتمع ، فالمجتمع الذى تغيب فيه المساواة الإجتماعية ، ويعلوه الظلم ويسوده القهر والإستبداد لفئة دون فئة، يُنشأ أفراد يتسمون بالجن ، والإستهتار واللامبالاة وعدم الإنتماء ، لانهم لم يحصلوا على حقوقهم ولم يتلقوا فرصتهم ، فقتلت بداخلهم المواهب والقدرات الشخصية ، وتاهت الطموحات ، وكل هذا مبرر كاف لإنتشار الرذائل فى هذا المجتمع .

ومن ثم جاء الإسلام فى أمة تتسم بالتعدد الطبقي ، سادة ، فقراء ، ونساء وعبيد ، ويسود الظلم بين هذه الطبقات ، فالحقوق كلها موكولة إلى طبقة السادة ، أما الفقراء فلا حق لهم سوى دربهما معدودة نظير خدمتهم للطبقة الأولى ، والعبيد لا يملكون أى حقوق فهم ملك لسيدهم يحق له التصرف فيهم كيفما شاء ، ولا يخفى على أحد موقف المرأة فى العصر الجاهلى ، وكان العرب مع ذلك يرون أنهم أكمل شعب على الإطلاق وأن بقية الشعوب التى سموها بالأعاجم ، هى شعوب وضعية ناقصة .

ولما قام المجتمع الإسلامى ، أزال التعدد الطبقي ، وألغى الفوارق الإجتماعية وساوى بين الناس جميعاً ، قال تعالى : " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا " { الإسراء : ٧٠ } ، فالتكريم حاصل لجميع البشر ، فجنس الإنسان مكرم عند الله فلا تفرقة بين قبيلة وأخرى ، ولا بين جنس وآخر ، ولا سلاله وأخرى ، ولا فرق على أساس اللون أو الجاه أو اللغة فالكل سواء ، فلا يترك الإسلام لجماعة أن تستعلى وتترفع على جماعة أخرى ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا " { النساء : ١ } ، فالأصل واحد وهو آدم عليه السلام .

ومن مظاهر المساواة فى الإسلام ، تحقيق العدل مع كل الطبقات والأشخاص قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا " { النساء : ١٣٥ } .

وروت عائشة : أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أتشفع فى حد من حدود الله ؟ " ثم قام فاختطب ثم قال : " إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " ^١ ، رسول الله

^١ [رواه البخارى " ٣٤٧٥ " ، ومسلم " ١٦٨٨ "] .

صلى الله عليه وسلم يعلن المساواة والعدل حتى ولو أدى إلى قطع يد ابته ، فالكل في الثواب والعقاب سواء ؛ لأفضل لمخزومي على أعرابي .

ومن مظاهرها أيضاً ، المساواة في الحقوق الواجبة عليهم تبعاً لقدراتهم وإستطاعتهم قال تعالى : " لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكَرًا " { الطلاق : ٧ } .

بذلك نرى أن الإسلام أتاح للجميع نفس الفرص ونفس الظروف ، فما هو معيار التفاضل في الإسلام ؟ وهل يستوى من جد وإجتهد مع من تبلد وركن إلى هواه وشهواته ؟ بل من أوضح مظاهر المساواة أن وضع الإسلام للتفاضل بين الناس ، لا يجري فيما لا يملكه الإنسان كالخلق والتكوين ، وإنما يندرج ضمن قدراته وإستعداداته ، كأداء العبادات وفعل الخيرات وطاعة الله ورسوله فكلها أعمال يستطيع كل إنسان القيام بها ، فوجه التفاضل فيها بحسب أداء كل شخص لها ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " { الحجرات : ١٣ } .

كما حث القرآن الجميع على التسارع والتسابق في فعل الخيرات ، لينال كل منهم جزائه على حسب عمله وأدائه ، قال تعالى : " وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ " { آل عمران : ١٣٣ } ، وقال تعالى : " سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ " { الحديد : ٢١ } ، وقال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا " { الكهف : ٣٠ } .

فهكذا مع المساواة والعدالة الإجتماعية أتاحت الفرص أمام الصحابة جميعاً فظهر تفوقهم ونبوغهم ، كلاً حسب إمكانياته وقدراته ، فتولى بلال المولى الحبشى الاسود مهمة الأذان لانه الاندى صوتاً ، وتولى زيد بن حارثة قيادة الجيش في مؤتة لانه الأصلح ، ثم تولى من بعده ابنه أسامة قيادة الجيش في تبوك ولم يتجاوز سنه السابعة عشر لانه الأجدر بالمهمة ، ولما طلب أبو ذر الإمارة رده النبي صلى الله عليه وسلم لأنها أمانة وليس كفؤ لها ، وعزل أبو بكر أمين الأمة أبو عبيده وولى خالداً لان له فطنة في الحرب ليست في أبي عبيده ، وكان منهم الإقتصادى الذى يسيل المال الحلال بين يديه كالماء مثل عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان ابن عفان ، وكان منهم القائد الفذ الذى تدرس أفكاره وخططه حتى الآن مثل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، وكان منهم الإدارى العبقري مثل عمر بن الخطاب ، وهكذا نبغوا وتفوقوا في جميع المجالات .

لذلك وجب علينا أن ننشر العدل والمساواة فيما بيننا ، وقد أوضحنا خطورة الظلم على المجتمع عامة ، فكل من ولّاه الله أمراً مهماً كان حجمه فليثق بالله ولينشر العدل فيه فالوالد في بيته ، والمعلم في فصله والمدير في إدارته والموظف في مكتبه ، وهكذا في كل الأوساط ، حتى تتاح الفرص أمام الجميع وينتشر الخير ويعم الرخاء .

وما الارهاب وغيره من الجرائم الإجتماعية ، إلا نتيجة للظلم الإجتماعي والتمييز بين الأفراد بنائاً على معايير آثمة ظالمة ، حيث ينشأ الصغير في أسرة تفضل أحد أبنائها على غيره لصغر سن الآخر أو لجمال سمته ، فيشعر معه بالقهر والإحباط ، وبعد دخول المدرسة ، يجد مُدرسه يهتم بأحد الأولاد ويوليه رعاية وإهتمام أكثر من غيره من الأولاد إما لانه ابن لزميل له ، أو يأخذ معه درس خصوصي أو أنه ابن شخص لامتياز إجتماعي ، كما يجد أن من هو أقل منه تحصيلاً علمياً تفوق عليه في الدرجات بسبب الغش ، وبعد أن يتم تعليمه الثانوي ويلتحق بالجامعة ، يجد أن الفرصة الوحيدة للعمل بالجامعة والترقى في الدرجات العلمية والوظيفيه لا بد أن يكون ابناً لأحد الأساتذة الموجودين بكلية ، وبعد ان يتخرج هذا الشاب ، لا يجد أمامه من فرص العمل إلا بعض الاعمال الدنيويه التي ليست لها علاقة بمجال تخصصه الدراسي في حين أن الوظائف المرموقة قاصرة على من لديهم المال أو المنصب " الجنيه أو الكارنيه " ، وهذا هو التعبير السائد بين الشباب ، وإذا تغلب الشاب على كل هذه المعوقات وأراد أن يكون أسرة وجد أمامه عدة عراقيل ومسببات منها أن التسهيلات والمشاريع التي تقوم بها الدولة للشباب من أجل الحصول على سكن لا ينالها إلا أصحاب النفوذ ، بالإضافة إلى غلاء الأسعار وإرتفاع المهور ، فبالله عليكم ماذا سيكون مثل هذا الشاب ؟ يصبح مثل هذا الشاب أمام أعداء الدين والوطن فيسهل عليهم توظيفه لمصالحهم وأهدافهم .

فإذا كنا نريد مجتمعاً إسلامياً كمجتمع الصحابة ، علينا أن نرسخ مفهوم المساواة في أذهان أبنائنا قولاً وعملاً ، ونكون لهم خير قدوة ، ويجب ألا ننس هذه المقولة : " إن الله يقيم الدولة الكافرة مع العدل ، ولا يقيم الدولة المسلمة مع الظلم " .

الإخاء :

بعد أن سرب الإسلام الطمأنينة إلى أفراد المجتمع بإشاعة المساواه بينهم وإقامة العدل فيهم وجعل التفوق والتميز نظير العمل فمن آمن وصدق قوله عمله وسلم الناس من غوائله ليس كغيره ، ومن جد واجتهد في طلب العلم ليس كغيره عند الله ، قال تعالى : " يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ " { المجادلة : ١١ } ، حينئذ إستقرت النفوس وإطمأنت القلوب وإهتدت العقول ، ومع ذلك فكان لا بد من ربط أبناء المجتمع المسلم ، برابطة تعبر عن روح

الإسلام في الوحدة والإجماع وحرصه على نبذ التعصب والتفرق ، رابطة ثابتة مستقرة لا تتغير بتغير الزمن ولا تتأثر بتداخل الثقافات ، ليست إشتراكية ، ولا رأسمالية وإنما هي رابطة إسلامية ربانية . قال تعالى : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " { الحجرات : ١٠ } ، والأخوة التي إختارها الإسلام إخوة مبادئ لأخوة نسب ، لأنها أقوى وأوثق من رابطة النسب ، فهي التي جمعت بين " صهيب الرومي ، وبلال الحبشي ، وسلمان الفارسي " وبين أبناء شبه الجزيرة العربية على إختلاف إتجاههم القبيلية " روم وحبشة وفارس وعرب " ، أجناس وأوطان وألوان وعادات ومناهج وطباع وغرائز وإتجاهات ، فضلاً عن إختلاف الرؤى التي ينظر كل طرف من خلالها إلى الآخر ، بين " الفرس و الروم " عداء منقطع النظير ، و الفرس والروم ينظرون إلى العرب نظرة إستقلال فهم يرون أن العرب " بدو همج " ، لا يستطيع أحد العيش معهم ، فلم تحاول دولة واحدة منهم غزو العرب رغم سهولة ذلك ، وفي الإتجاه الآخر نرى العرب أنفسهم يظنون أنهم خير الأجناس ، وأن لهم السيادة على البشر .

رغم كل هذه العوائق والتي يستحيل أن يقضى عليها ويمحى أثرها إلا الأخوة الإيمانية تلك الرابطة التي أزالَتْ ومحت الفوارق العنصرية والعرقية ، فلا " أبيض وأسود " ولكن " مؤمن وغير مؤمن " فردت الجميع إلى الأصل " آدم وحواء " ، فهما الذي جاء منهم البشر جميعاً ومن ثم فكلهم متساوون ، وتكون الأخوة بينهم على حسب إدراك كل منهما للدور الذي خلق الله آدم وحواء من أجله وهي عبادة الله وعمارة الأرض .

وتلك الرابطة إنما هي نعمة من الله وفضل منه ، لأنها تتعلق بالروح والقلب ، وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء ، فلا يستطيع أحد أن يشتريها ولا يأتي بمثلها ، قال تعالى : " وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " { الانفال : ٦٣ } .

وقد تفوقت هذه الأخوة على أخوة النسب ، بحيث لانسب ولاقربة أمام الأخوة الإيمانية ، فهذا أبو بكر الصديق

ومن هنا يقول أنه لن تقوم الأمة الإسلامية ، وتعود إلى ريادته ومكانتها التي كانت عليها ، ولن تكون لها منعه وقوة علمية وحربية وإقتصادية وفكرية وتجارية و..... إلا بالعودة إلى الأخوة الإسلامية والإنضواء تحت رايتها ، فضلاً عن إدراكنا أن ما شاع بين المسلمين من نزاعات وقوميات وحدود وجنسيات إنما هي دعاوى هدم لا إصلاح ، دعاوى تفريق وتشتيت لا تلاحم وترباط قام بها أعداء الإنسانية لبعثرة وحدتها وضياع هويتها .

وقد جعل الإسلام لهذه الأخوة مقومات تفضي إلى المحبة والوحدة وتبيد وتمنع كل عوامل النزاع والكره ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "

المقصود من الإخاء في هذا الباب هو أن يتأخى مجموعة من الناس في العقيدة ، قال تعالى : " وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " { الانفال : ٦٣ } ، كان الصحابة قبل الإسلام عبارة عن قبائل متناحرة متنازعة ، فقد كان بين الانصار " الاوس والخزرج " حروب طويلة دامت لسنوات عديدة ، وكانوا يحملون لبعضهم البعض من الكره والبغض ما يستحيل معه زواله لو كان على يد بشر ، إلا أن الإسلام أخی بين الجميع أوس وخزرج ، أنصاراً ومهاجرين ، قال تعالى : " وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ " { الحجر : ٤٧ } ، وقال تعالى : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " { الحجرات : ١٠ } ، وقال تعالى : " وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ " { آل عمران : ١٠٣ } .

وقد عمق النبي صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ في نفوس المسلمين ، بجملة من الأقوال والسلوكيات ، فقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث بن عمر : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة " ^٢ ، ومنه أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أنس : " أنصر أحاك ظالماً أو مظلوماً " فقال رجل : يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره ؟ فقال : " تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره " ^٣ . ومنه ما رواه أبو هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " تهادوا تحابوا " ^٤ . وإيضاً عن أنس قال : " يا بني ! تبادلوا بينكم ؛ فإنه أودّ لما بينكم " ^٥ .

وهكذا كان يتعامل المسلمون مع بعضهم البعض على أساس هذا المبدأ ، فكان الواحد منهم يسعى إلى مرضاة أخيه ، بل ولديه استعداد إلى أن يضحي بماله بل وبنفسه من أجل أخيه ، فكانوا كالجسد الواحد يتألم بعضهم لتألم البعض الآخر ، فكانوا خير قدوة وخير مثال في العلاقات الاجتماعية .

❖ مقومات الأخوة الإيمانية :

^٢ [رواه البخارى " ٢٤٤٢ " ، ومسلم " ٢٥٨٠ "] .

^٣ [رواه البخارى " ٦٩٥٢ " ، والترمذى " ٢٢٥٥ "] .

^٤ [رواه البخارى فى الأدب المفرد ، وصححه الألبانى فى صحيح الأدب المفرد " ٢٤٠ "]

^٥ [نفس التخرىج السابق]

إذا فقدت الأخوة الأساس الذي تقوم عليه ، والذي يمدّها بالثبات والاستقرار ، والذي يعمل على تدعيمها وترسيخها كمبدأ من مبادئ التربية الاجتماعية ، لأصاحبها الزبول وولت مدبرة مع أبطى ربح ، لذلك وضع الإسلام لها مقومات تدعمها وترسيخها وتثبت أركانها .

١. المحبة والولاء :-

الولاء يعنى حب الله ورسوله والمؤمنين الموحدين ونصرتهم ، فكل مسلم يجب عليه حب المؤمنين وموالاتهم ونصرتهم ، ومن لم يفعل ذلك ووالى الكفار بالحب أو التقليد أو المحاكاة ، فقد نقص إيمانه ، قال تعالى : " تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ " { المائدة : ٨٠ } .

فلا يمكن أن تتحقق الأخوة إلا إذا أحب المسلم أخاه المسلم محبة صادقة تصدر من القلب ، قال تعالى : " وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " { التوبة : ٧١ } ، ولأهمية الحب في قيام المجتمع المسلم ، جعله الله تعالى شرط من شروط الإيمان ، قال تعالى : " وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ " { المائدة : ٨١ } ، كما جعله النبي صلى الله عليه وسلم أوثق عرى الإيمان ، فقال صلى الله عليه وسلم : " أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله " ^٦ ، وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " ^٧ ، هكذا قرن النبي صلى الله عليه وسلم المحبة بين المسلمين بمحبتهم أنفسهم ، كما أنها سبب لتذوق حلاوة الإيمان وهذا من أكمل دواعي الحب ، قال : " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار " ^٨ ، والاحاديث في الباب كثيرة .

وطالما توافر هذا المبدأ في مجتمع ما فماذا تجد منهم ؟ فمثلاً سيعملون على إرضاء بعضهم البعض ، وبالتالي فلن تجد هناك شقاق أو خلاف ، وإنما سيتفرغوا لنصرة دينهم وأوطانهم ، كما فعل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد سادو العالم في فترة لاتكاد تذكر .

إذاً فلا سبيل إلى استقرار وتنمية في العلاقات الاجتماعية إلا بنشر المحبة بين صفوف المجتمع ، الكل يعمل للكل ، والكل يكمل الكل ، محبة صادرة من الضمير ، نابعة من القلب ، لانه يرجوا بها

^٦ [رواه الطبراني ، والبيهقي في السنة ، وصححه الالباني في الصحيحة " ٩٩٨] .

^٧ [رواه البخاري " ١٣ " ، ومسلم " ٤٥ "] .

^٨ [رواه البخاري " ١٦ " ، ومسلم " ٤٣ "] .

إبتغاء مرضاة الله عز وجل ، لذلك لن يشوبها المرء والمداينة ، بل هي صافية نقية خالصة ومن هنا كان لزماً علينا أن نكون خير قدوة لأبنائنا ، وأن نلقنهم القصص والمواقف التي تشير إلى تلك المحبة وفضلها ، وأن نجنبهم المنافسات التي تثير الشحناء والبغضاء فيما بينهم .

٢. الإيثار :-

وهو أن يؤثر غيره بالشئ مع حاجته إليه ، وضده الأثرة : وهي إستثارة عن أخيه بما هو محتاج إليه ، وعرفه الجرحاني في التعريفات : أن يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه ، وهو النهاية في الاخوة .

والإيثار من الفضائل التي إمتاز بها الإسلام دون غيره من الشرائع ، فهو أرفع درجات السخاء ، وأقوى دعائم ومقومات الأخوة الإيمانية ، فهو مؤشر بقوة المحبة والإخوة ، وعمق العلاقات الإجتماعية ، وقوة التماسك الإجتماعي ، فالإيثار ضد الأنانية ، وحب الذات ، والتي بدورها معول من معاول هدم العلاقات الإجتماعية وتفريقها ، والتي تسربت وانتشرت داخل مجتمعنا الإسلامي ، مهددة له بالتفكك والتمزق ، زرعها الغرب وترك رعايتها للرأسماليين والعالمانيين ، لذلك يأتي دور الإيثار حتى تعود الأخوة الإيمانية والترابط والتماسك الإجتماعي داخل الحضر ، الذي أصبح التفكك سمة من سماته ، فلنربى أبنائنا على الإيثار ، كما تربى الجيل الاول عليه .

فقد مدح الله تبارك وتعالى الأنصار الذين أثرو المهاجرين على أنفسهم برغم ما كان بهم من فقر وحاجة ، فقد أثروهم بالأموال والأولاد والدور ، لذلك بشرهم الله تعالى بأسمى بشارة يبشر بها إنسان ، وهو الفلاح ، وهذا الفلاح ليسقاصراً على الدنيا فقط بل يتعداه ليشمل الآخرة ايضاً ، قال تعالى : " وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْثُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " { الحشر : ٩ } ، وليس الفلاح خاص بهم مقصوراً عليهم ، بل يمتد ليشمل كل من إقتفى أثرهم وسار على دربهم وإتبع نهجهم ، قال تعالى في الآية التالية : " وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ " { الحشر : ١٠ } ، وقال تعالى : " وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ " { التوبة : ١٠٠ } .

وإعلم أخى المربي أن المربي الكفاء من صفاته أن يحول أولاده من المنافسة على الإمتلاك إلى المنافسة على الإيثار ، ولك في رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسوة الحسنة والقدوة الصالحة ، هو

وصحابتة ، ومن افضل الوسائل التي يكتسب بها الطفل الإيثار ويصبح ضمن قيمة وإتجاهاته ، هو أسلوب القصة المشوقة والحكاية المؤثرة والمواقف الخالدة المنتقاه من تاريخ هذه الأمة الناصع ، ومنها ما فعله الأنصار مع إخوانهم المهاجرين ، وينبغي على الأبوين داخل الاسرة أن تلتزموا بهذا السلوك ، فهي أول قدوة في حياة الإنسان .

ومن الجدير بالذكر ، إن المؤثرة لا تكون إلا في طاعة الله ، كأن تترك مثلاً صلاة الجماعة في المسجد حتى لاتزعج ضيفك فهذه المؤثرة مرفوضة ، كأن يترك الفرد مساعدة أمه حتى يترك المجال لأخيه ، فهذه أيضاً ليست مؤثرة ، فلا بد أن ينتبه المربي لمثل هذه الأمور ، كما ينبغي للمربي أن يكون يقظاً لملاحاً ، فإذا لاحظ الإيثار من أحد تلاميذه ، فينبغي أن يبادر بالشناء عليه ومدحه ومكافأته ، فالله تعالى يقدر ويكافئ على قدر العمل .

٣. العفو والصفح :-

من السلوكيات الاجتماعية التي ينبغي أن بينها الأباء والمربون في نفوس تلاميذهم وأبنائهم . وقال ابن منظور في لسان العرب : العفو : هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه وأصله الخو والطمس ، أما الصفح : فهو الإعراض عن الذنب . قال تعالى : " خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ " { الأعراف : ١٩٩ } ، هذه الآية تدل على عظمة هذا السلوك القويم وأهميته في التربية الاجتماعية ، فالتعبير القرآني يشير بالاحذ ، والعرف يقول أنه كلما كان الإنسان عظيماً وقال خذ ، فهذا يدل على أن المأخوذ عظيم في نفسه ، فما بالك إذا كان المعطى هو الله جل وعلا والأخذ هو أحب خلق الله إلى الله ، فكيف يكون الشيء المأخوذ ، فلا بد أنه أعظم القدر ، والعفو هو مفتاح السعادة ؛ وهو سر النجاح في معاشرة الخلق ؛ فمن تأمل حال الخلق وحدهم غير معصومين من الخطأ ، ولو وقف المرء أمام كل خطأ ليقصص لنفسه ما عاش أحد ، وإذا تتبع أحوال الناجحين في الحياة الاجتماعية ، لوجدت من أهم سماتهم الاجتماعية هو العفو ، فهو يرقى بالإنسان فالإنتقام وعدم العفو والوقوف على الأخطاء صغيرها وكبيرها ، سمة من سمات الحيوان ، ويكفى أن العفو من صفات الله تبارك وتعالى ، كما أن الإنتقام أيضاً من صفاته ولكن مع من أصر على العصيان وأثر العناد .

من هنا كان العفو من أهم مقومات ودعائم الأخوة ، فهو يزيل العداوة والكره ويذهب بالبغضاء والشحناء ، لذا تجد العفو محبوب إجتماعياً ، ليس له أعداء ، لذلك أمر الله تبارك وتعالى به في كثير من الآيات ، وحث عليه بأسمى الأمنيات ، قال تعالى : " وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ " { الحجر : ٨٥ } ، وقال تعالى : " وَلَا يَأْتِلِ

أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " { النور : ٢٢ } ، وقال تعالى : " الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " { آل عمران : ١٣٤ } ، وقال تعالى : " وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ " { الشورى : ٤٣ } ، وغيرها من الآيات التي تبين فضله وأثره .

وإذا كنا نريد لأبنائنا وتلاميذنا ، تربية نفسية صافية من كل ما يعكر النفس ويشوبها ، وإذا كنا نريد لهم تربية إجتماعية قوامها الأخوة والمحبة ، والأمان والسيادة ، وكسب العلاقات الإجتماعية الفعالة ، فعلينا بإكسابهم سلوك العفو ، فنتمثل وتنشعب به ، ونقص عليهم ما يؤثر من المواقف الجلييلة ، والقصص الرائعة في العفو ، وأن نكافئ ونثيب عليه .

ولا تنس ؛ أحنى المرئى أن تعلمهم أن العفو لابد أن يقابل بالفضل ، كما علمنا الله تبارك وتعالى ، قال : " وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " { البقرة : ٢٣٧ } .

٤. الصبر واحتمال الأذى :-

المؤمن يتحمل ويصبر على ما يجده من إخوانه من جفاء وغلظة ، وما يلقيه منهم من أذى وإساءة سواء بالقول أو الفعل ، فهو يتحمل كل ذلك إحتساباً عند الله وحفاظاً على الأخوة ، قال تعالى : " وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ " { فصلت : ٣٤ - ٣٥ } ، يري الله تبارك وتعالى المجتمع المسلم على ما يسميه أصحاب علم الإجتماع بثقافة التسامح ، فمن أخلاق المسلمين المؤمنين أن يقابلون الإساءة بالإحسان ، لانه من خصائص النفوس الكريمة إنها تحب من أحسن إليها ، وعفا عنها ، وبها تزول العداوة ويصير العدو ولى حميم ، ولما كانت هذه الخصلة تحتاج إلى مجاهدة ومثابرة ، أتبعها الله بما من شأنه أن يدفع كل عاقل إلى الإلتزام بها والإلتصاف والتمسك بها ، حتى يكون من أصحاب الحظ العظيم .

وهذه الصفة من أهم الصفات والسلوكيات التي تحافظ على وحدة المجتمع وبقاؤه متماسكاً متفاعلاً ، فلو ذهب كل فرد إلى الإنتقام لنفسه من إساءة إليه ، ويدفع السيئة بمثلها لما إنتهى الدور ، وعندها صبح المجتمع في دوامة من البطش والعنف .

٥. خصال مذمومة نهى الإسلام عنها :-

ولم يغفل الإسلام تحريم بعض الصفات المذمومة التي توقع العداوة وتنشئ الفتنة وتلقى بشرها على المجتمع كله مقطعة أوصال المحبة والأخوة .

❖ الغيبة :-

حرم الله تعالى الغيبة ، وهى ذكر المسلم أخيه بما يكره فى غيابه ، قال تعالى : " وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ " { الحجرات : ١٢ } ، فقد نفر الله تعالى منها أبلغ وأشد تنفير ، حيث صور الذى يغتاب بأنه يأكل لحماً وهذا اللحم ميتاً ليس هذا فحسب إنما هو لحم أخيه ، والنفوس السليمة تجزع وتنفر من سماعه .
وقد نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عنها أيضاً ، فعن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : " ذكرك أخاك بما يكره " قيل : أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال : " إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته " ٩ .

وعن أبي بكر - رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خطبته يوم النحر بمنى فى حجة الوداع : " إن دماءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم ، حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، ألا هل بلغت " ١٠ .

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : حسبك من صفية كذا وكذا - قال بعض الرواة - تعنى قصيره - فقال : " لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته " قالت : وحكيت له إنساناً فقال : " ما أحب أنى حكيت إنساناً وإن لى كذا وكذا " ١١ .

والغيبة من الامراض الخلقية والاجتماعية الخطيرة ، لها آثارها السلبية على الفرد والجماعة تورث الهم والغم والحزن ، وتسبب الشعور بالقلق وعدم الإرتياح ، من قبيل قول الشاعر :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

تفقد الإحترام وتذهب بالهوية ، لانشغال صاحبها بهفوات الناس وسقطاتهم ، كما تنشأ العداوات والأحقاد وثير البغضاء والكراهية فهى تفرق بين الناس ، وتورث العداوة والشحناء ، كما أنها تكشف للمستور وإظهار للغيوب ، وفضح للعيوب ، لذلك فآثارها مدمرة من شأنها أن تقضى على المجتمع وتذهب بريجه ، فكان من رحمة الله علينا أن حرّمها وصور حرمتها بأبشع الصور .

ولكن هناك حالات خاصة تباح فيها الغيبة .

٩ [رواه مسلم " ٢٥٨٩ " ، والترمذى ، وأبو داود] .

١٠ [البخارى " ٦٧ " ، " ٤٦٦٢ " ، ومسلم " ١٦٧٩ "] .

١١ [رواه أبو داود ، والترمذى ، وصححه الالبانى فى صحيح الجامع " ٥١٤٠ "] .

قال الامام النووي : اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها ، وهو ستة أسباب :

الأول : التظلم ، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية ، أو قدرة على إنصافه من ظالمه ، فيقول : ظلمي فلان بكذا .

الثاني : الاستعانة على تغيير المنكر ، ورد العاصي إلى الصواب ، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر : فلان يعمل كذا ، فازجره عنه ونحو ذلك ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر ، فإن لم يقصد ذلك كان حراما .

الثالث : الاستفتاء ، فيقول للمفتي : ظلمي أبي أو أخي ، أو زوجي ، أو فلان بكذا فهل له ذلك ؟ وما طريقي في الخلاص منه ، وتحصيل حقي ، ودفع الظلم ؟ ونحو ذلك ، فهذا جائز للحاجة ، ولكن الأحوط والأفضل أن يقول : ما تقول في رجل أو شخص ، أو زوج ، كان من أمره كذا ؟ فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين ، ومع ذلك ، فالتعيين جائز كما سنذكره في حديث هند إن شاء الله تعالى .

الرابع : تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم ، وذلك من وجوه :
منها جرح المحروحين من الرواة والشهود وذلك جائز بإجماع المسلمين ، بل واجب للحاجة .
ومنها : المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته ، أو إيداعه ، أو معاملته ، أو غير ذلك ، أو مجاورته ، ويجب على المشاور أن لا يخفي حاله ، بل يذكر المساوئ التي فيه بنية النصيحة .
ومنها : إذا رأى متفقا يتردد إلى مبتدع ، أو فاسق يأخذ عنه العلم ، وخاف أن يتضرر المتفقه بذلك ، فعليه نصيحته ببيان حاله ، بشرط أن يقصد النصيحة ، وهذا مما يغلط فيه . وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد ، ويلبس الشيطان عليه ذلك ، ويخيل إليه أنه نصيحة فليتفطن لذلك .

ومنها : أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها : إما بأن لا يكون صالحا لها ، وإما بأن يكون فاسقا ، أو مغفلا ، ونحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله ، ويولي من يصلح ، أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله ، ولا يعتر به ، وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به .

الخامس : أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالجاهر بشرب الخمر ، ومصادرة الناس ، وأخذ المكس ، وجباية الأموال ظلما ، وتولي الأمور الباطلة ، فيجوز ذكره بما يجاهر به ، ويحرم ذكره بغيره من العيوب ، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه .

السادس : التعريف ، فإذا كان الإنسان معروفا بلقب ، كالأعمش ، والأعرج ، والأصم ، والأعمى ، والأحول ، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك ، ويحرم إطلاقه على جهة التنقيص ، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك

كان أولى ، فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليه ، ودلائلها من الأحاديث الصحيحة مشهورة ^{١٢} .

❖ النميمة :-

ومن آداب الحديث أيضاً خلوه من النميمة وهى نقل الكلام بين طرفين لغرض الفساد وزرع العداوة والفتنة بينهم .

وقد حرمها الله ورسوله ، قال تعالى : " هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ " { القلم : ١١ } ، وعن حذيفة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يدخل الجنة نمام " ^{١٣} .

وقد أعد الله تعالى للنمام العذاب الاليم فى القبر ، فعن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال : " إنيهما يعذبان ، وما يعذبان فى كبير ، بلى إنه كبير ، أما أحدهما ، فكان يمشى بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله " ^{١٤} .

والنمامون هم شرار الناس ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا أخبركم بشراركم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : " شراركم المشاءون بالنميمة ، المفسدون بين الاحبة ، الباغون العيوب " ^{١٥} .

حقاً هم شرار الناس لأنهم يضيعون أوقاتهم وأوقات غيرهم هباءً منثوراً بدلاً من ذكر الله وما ينفع الناس ، فضلاً عن الأضرار المادية والأدبية التى يلحقونها بالناس ، فضلاً عن الفتن والأحقاد التى يذرعوها بين الناس ، فهؤلاء لا أمان لهم .

قال الشاعر :-

من نم فى الناس لم تؤمن عقارىه على الصديق ملم تؤمن أفاعيه
السييل بالليل لا يدرى به أحد من أين جاء و لا من أين يأتيه
الويل للعهد منه كيف ينقضيه والويل للود منه كيف يفنيه

❖ الكذب :-

الكذب من كَذَبَ كِذْباً و كَذَّاباً : أخبر عن الشئ بخلاف ما هو عليه فى الواقع ، وهو سلاح من أقوى وأشد أسلحة إبليس فى إفساد بنى آدم ، فهو البداية لكل معصية ، فالكذب يتعمد الكذب ليغطى ويمحو نقيصة قام بها أو ليحمل سيئة فعلها ، أو ليبرر ما يقوم به من أعمال الشيطان ، لذلك

^{١٢} [رياض الصالحين ، " ص ٣٧٦] .

^{١٣} [رواه البخارى " ٦٠٥٦ " ، وصحيح مسلم " ١٧١٤ "] .

^{١٤} [رواه البخارى " ٢١٦ ، ١٣٨٧ " ، ومسلم " ٢٩٢ "] .

^{١٥} [رواه أحمد ، وحسنه الالبانى فى الادب المفرد " ٣٢٣ "] .

فهو كما وصفه الصادق الصدوق بأنه يؤدي إلى الفجور ، لهذا فقد حاربه الاسلام وحرمه صيانته للفرد والمجتمع من أخطارة وقضاءاً على أقوى أسلحه إبليس اللعين .

وقد حرمه الله تعالى فقال : " وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ " { الاسراء : ٣٦ } ، وقال تعالى : " مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ " { ق : ١٨ } ، وقال تعالى : " فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ " { البقرة : ١٠ } ، وقال تعالى : " وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ " { الزمر : ٦٠ } .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً " ^{١٦} ، كما أنه خصله من خصال النفاق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصله منهن كانت فيه خصله من نفاق حتى يدعها ، إذا أؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر " ^{١٧} .

وقيل : رأس المأثم الكذب وعمود الكذب البهتان ، أمران لا ينفكان من الكذب ، كثرة المواعيد ، وشدة الاعتذار .

وقال الفضيل : ما من مضغة أحب إلى الله تعالى من اللسان إذا كان صدوقاً ولا مضغة أبغض إلى الله تعالى من اللسان إذا كان كذوباً .

لا يكذب المرء إلا من مهانته أو فعله السؤ أو من قله الادب

لبعض جيفة كلب خير رائحة من كذبة المرء في جد وفي لعب

ما يجوز من الكذب : -

قال الامام النووي رحمه الله : إعلم أن الكذب ، وإن كان أصله محرماً ، فيجوز في بعض الاحوال بشروط ، مختصر ذلك أن الكلام وسيله إلى المقاصد ، فكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه ، وإن لم يمكن تحصيله إلا بالكذب جاز الكذب ، ثم إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحا كان الكذب مباحا ، وإن كان واجبا ، كان الكذب واجبا . فإذا اختفى مسلم من ظالم يريد قتله ، أو أخذ ماله وأخفى ماله وسئل إنسان عنه ، وجب الكذب بإخفائه . وكذا لو كان عنده وديعة ، وأراد ظالم أخذها ، وجب الكذب بإخفائها . والأحوط في هذا كله أن يوري . ومعنى التورية : أن

^{١٦} [رواه البخارى " ٦٠٩٤ " ، ومسلم " ٢٦٠٧ "] .

^{١٧} [رواه البخارى " ٣٤ " ، ومسلم " ٥٨ "] .

يقصد بعبارته مقصودا صحيحا ليس هو كاذبا بالنسبة إليه ، وإن كان كاذبا في ظاهر اللفظ ، وبالنسبة إلى ما يفهمه المخاطب ، ولو ترك التورية وأطلق عبارة الكذب ، فليس بحرام في هذا الحال .
واستدل العلماء بجواز الكذب في هذا الحال بحديث أم كلثوم رضي الله عنها، أنها سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، يقول : ((ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ، فينمي خيرا أو يقول خيرا)) ، زاد مسلم في رواية : قالت أم كلثوم : ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث ، تعني : الحرب ، والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها ^{١٨} .

❖ السخرية والاحتقار :-

حرم الله تعالى إحتقار المسلم أخاه ، والاحتقار من حقر يحقر بمعنى ذل ، فالحقر يعنى الذله والتصغير والتقليل والاستهانة بالغير ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " { الحجرات : ١١ } ، وقد ذم الله تعالى فاعله ، وأعد له عذاباً أليماً ، قال تعالى : " الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " { التوبة : ٧٩ } ، وكما يسخر الشخص من الآخر ، يسخر المعتدى عليه من الساحر يوم القيامة ، قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ تُؤْتُونَ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ " { المطففين : ٢٩ : ٣٦ } .

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " بحسب إمرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم " ^{١٩} .

فيحرم على المسلم أن يشمل حديثه إحتقاراً لغيره ، فالله سبحانه يرفع الناس بعضهم فوق بعض ، فهو سبحانه قادر على أن يزل المختقر ويرفع المحتقر ، فعن جندب بن عبد الله - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله عز وجل : من ذا الذى يتألى على أن لا أغفر لفلان إني قد غفرت له ، وأحببت عملك " ^{٢٠} .

❖ السباب واللعان وإيذاء الغير :-

^{١٨} [رياض الصالحين ، ص " ٣٨٢ - ٣٨٣ "] .

^{١٩} [رواه مسلم " ٢٥٦٣ ، ٢٥٦٤ "] .

^{٢٠} [إنفرد به مسلم " ٢٦٢١ "] .

حرم الله ورسوله السب واللعن وإيذاء الغير بغير حق تحقيقاً للعدل والرحمة وحفاظاً على الوحدة والمحبة والالفة بين المسلمين ، ووقاية ودرءاً للفتنة والفرقة والاختلاف ، ومحوراً لأمراض القلوب قبل علتها من حقد وكره .

قال تعالى : " وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا " { الاحزاب : ٥٨ } .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لعن المؤمن كقتله " ^{٢١} ، فقد شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المؤمن بالقتل وهو أكبر الكبائر تنبيهاً للمسلمين لما يحدثه اللعان من أثر في نفس المعتدى عليه . ونفى النبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة والشهادو للعانون يوم القيامة ، قال : " لا يكون اللعانون شفعاء ، ولا شهداء يوم القيامة " ^{٢٢} .

ويستثنى من ذلك لعن بعض أصحاب المعاصي غير المعينين ، من قوله تعالى : " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ " { هود : ١٨ } ، فلم يحدد شخصاً معينه ، ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم دون تحديد ، مثل لعن الواصلة والمستوصلة ، لعن المتشبهين من الرجال بالنساء .. إلخ ، فكلها ألفاظ تكره .

كما جعل صلى الله عليه وسلم سب المسلم من الفسق فقال : " سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر " ^{٢٣} ، وأيضاً من صفات غير المؤمنين السب و اللعن و الفحش في القول ، قال صلى الله عليه وسلم : " ليس المؤمن بالطعان ، ولا اللعان ، ولا الفاحش ، ولا البذي " ^{٢٤} ، وإنما المسلم من حفظ لسانه ويده عن المسلمين ، قال صلى الله عليه وسلم : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " ^{٢٥} .

❖ المن على الغير :-

ومن آداب الأخوة ، ألا يمين المرء بما أعطى ويعتد به ، يقصد من الاعتداء إلحاق الأذى والتوبيخ بالمعطى .

والمن يبطل صدقه ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ " { البقرة : ٢٦٤ } .

^{٢١} [رواد أحمد ، والطبراني في المعجم الكبير ، وصححه الالباني في صحيح الجامع " ٧١٢ "] .

^{٢٢} [رواد مسلم " ٢٥٩٨ " ، وأبو داود] .

^{٢٣} [رواد البخاري " ٤٨ " ، ومسلم " ٦٤ "] .

^{٢٤} [رواد الترمذی ، وصححه الالباني في الصحيحه " ٨٩٠ "] .

^{٢٥} [رواد مسلم " ٤١ " ، وأحمد] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكهم ، ولهم عذاب أليم " قال (أى الراوى) : فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، ثم قال الراوى (أبو ذر) : خابوا وخسروا ، من هم يا رسول الله ؟ قال : " المسبل ، والمنان ، والنفق سلعته بالحلف الكاذب " ٢٦ .

❖ الهمز والمز :-

قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " { الحجرات : ١١ } ، وقال تعالى : " هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ " { القلم : ١١ } ، وقال تعالى : " وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ " { الهمزة : ١ } .

الهمزة من الهمز ، بمعنى الطعن فى أعراض الناس ، ورميهم بما يؤذيهم ، واللمزة من اللمز ، بمعنى السخرية من الغير ، عن طريق الإشارة باليد أو العين أو غيرها وقيل الهمزة الذى يعيبك فى الغيب ، واللمزة الذى يعيبك فى الوجة ، وقيل العكس ، وحاصل هذه الأقوال يرجع إلى أصل واحد ، وهو الطعن وإظهار العيب ، ويدخل فى ذلك من يحاكى الناس فى أقوالهم وأفعالهم وأصواتهم ليضحكوا منه . ٢٧

❖ التنايز بالألقاب :-

التنايز هو التداعى بالألقاب المكروهة ، كأن ينادى الشخص بأقبح أسمائه إزدراءً له وتعيراً به ، فقد نهى الله تبارك وتعالى عنه فى آية السلوك قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " { الحجرات : ١١ } ، ولكن يستحب للمسلم أن ينادى أخاه بأحب أسمائه إليه .

❖ سوء الظن :-

قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ

٢٦ [رواه مسلم " ١٠٦ " ، والترمذى ، والنسائى ، وأبو داود ، وابن ماجه] .

٢٧ [التفسير الوسيط : ج ١٥ ، ص ٥٠٤] .

رَحِيمٌ " { الحجرات : ١٢ } ، وقال صلى الله عليه وسلم : " إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث " ٢٨ .

يحرم الله تبارك وتعالى سؤ الظن بالمسلم المستور الحال ، الظاهر العدالة ، النقى النظيف ، وذلك بدون دليل واضح وبرهان قوى ، ففيه هتك لحرمت الأشخاص وإستباحة لكراماتهم وحریاتهم ، فهو بأمرهم إجتنا ب كثيراً من الظن ، فلا يتركوا أنفسهم نخباً لكل ما يوسوس به الشيطان وما يلقيه من شبهات وشكوك تثير القطيعة وعدم التواد في المجتمع .

وقد عبر جل شأنه بقوله : " كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ " للإشعار بأن الغالب على الظن أن يكون باطلاً لأصل له ، فهو لا يدري أى ظنونه تكون صادقة ؛ وما دام الامر كذلك فالاولى والاجر إجتنا ب الظن كلية .

❖ التجسس وإتباع العورات :-

قال تعالى : " وَلَا تَجَسَّسُوا " { الحجرات : ١٢ } ، فالله تبارك وتعالى يحث المجتمع المسلم على الأخذ بالمظهر من أحوال الناس ، وينهاهم عن البحث عن الأسرار وتتبع العورات . والتجسس قد يكون هو الحركة التالية للظن ، وقد يكون حركة إبتدائية لكشف العورات ، والإطلاع على السوءات والقرآن يقاوم هذا العمل الديني من الناحية الأخلاقية ، فالناس حریاتهم وكراماتهم التي لا يجوز أن تنتهك في صورة من الصور ، ولا تمس بحال من الاحوال ، ولا يوجد مبرر - مهما يكن - لإنتهاك حرمت الأنفس والبيوت والأسرار والعورات ، حتى ذريعة تتبع الجريمة لاتصلح في النظام الإسلامى ذريعة للتجسس على الناس ٢٩ .

❖ التثبت من الأخبار :-

قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ " { الحجرات : ٦ } ؛ يأمر الله عباده المؤمنين بالتثبت والإستيقان من الأخبار صيانة للمجتمع من الخصام والتفكك ، ومن الإندفاعات وراء أخبار الفساق ، وذلك لا يشيع الشك بين المسلمين ، فتستقيم الاخوه الإسلامية ولا تعصف بها أخبار وأقوال المشككين والفساق .

التكافل الإجتماعى :

٢٨ [رواد البخارى " ٥١٤٤ " ، ومسلم " ٢٥٦٣ "] .

٢٩ [التفسير التروى : ج ٣ ، ص ٣٢٤] .

يقصد بالتكافل الإجتماعى ، ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم : " مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " ^{٣٠} ، فالتكافل الإجتماعى بمفهومه الإسلامى يعنى أن تكون أفراد المجتمع متشاركين متضامنين مع بعضهم البعض ، محافظين على مصالحهم العامة والخاصة ، يدفعون عن بعضهم البعض المفسد والاضرار ، ليس فقط فى النواحي المادية ، بل المعنوية أيضاً .

وتأتى فكرة الضمان الإجتماعى فى العصر الحديث ، فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، من منطلق أن السلام الإجتماعى لا يمكن أن يتحقق فى حياة الشعوب إذا ترك الفرد يواجه محنه وشدائده وحاجته ، دون أن يشعر بان المجتمع من حوله على إستعداد لمديد المعونة إليه وقت ضعفه ومحتته .

ومن هنا يتضح الفرق بين التكافل الإجتماعى كما بينه القرآن الكريم ، منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام مضت ، كما فى قوله تعالى : " وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " { التوبة : ٧١ } ، فالتكافل الإجتماعى يعم كل فرد من أفراد المجتمع المسلم ، طاعة لله ورسوله ، وإبتغاء الثواب من الله ، فى حين أن التكافل الإجتماعى الذى نادى به العرب قائم على رغبة الفرد ، فهو تطوعى .

كما أن التكافل الإجتماعى فى القرآن لا يقتصر على المسلمين فقط ، بل يتعداهم كل بنى الإنسان على إختلاف دياناتهم ومعتقداتهم ؛ ماداموا يعيشون بسلام داخل ذلك المجتمع ، وليس بينهم وبين المسلم قتال ولا عداوات ؛ من إغتصاب للأموال والدور ، فأولئك يشملهم التكافل الإجتماعى القرآنى ، قال تعالى : " لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ " { الممتحنة : ٨ } .

ومن أهم مظاهر التكافل الإجتماعى فى الإسلام ، كفاية المحتاجين ، من غذاء أو كساء أو إيواء ، فقد جعل الله تبارك وتعالى كفايتهم فرض كفاية على الأغنياء ، قال تعالى : " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " { التوبة : ١٠٣ } ، وقال تعالى : " وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ " { الذاريات : ١٨-١٩ } ، وهذه الآيات وغيرها تعنى بفريضة الزكاة ، وفضل التصدق على المحتاجين وثمرته فى الدنيا قبل الآخرة ، وأن الصدقة تكون فى السر وتكون فى العلن وأن صدقة السر أفضل من صدقة العلن أو الجهر ، ومن واجبات المربى أيضاً أن يلحق الصغير ما جاء فى قوله تعالى : " الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

^{٣٠} [رواد البخارى " ٦٠١١ " ، ومسلم " ٢٥٨٦ " ، واللفظ له] .

يَحْزَنُونَ " { البقرة : ٢٦٢ } ، فالتكافل الإجتماعى فى الإسلام يعتبر أن المحتاج له حق الإعانة على الميسور ، ومن ثم لا ينبغي على الميسور أن يؤذيه بالقول أو بمجرد الإشارة ، ولا يمن عليه .

ومن الوسائل الفعالة فى غرس التكافل الإجتماعى لدى الأولاد أن نعطيهم أموال الزكاة أو الصدقات ، ليعطوها هم للمستحقين ونبين لهم حقيقة الأمر كما علمنا الله إياه ، كما ينبغي للمربين أن يذكروا الأولاد بالفقراء والمحتاجين مع ظهور النعم وفى المناسبات مثل الأعياد ، وفى عيد الفطر تأتى صدقة الفطر ، وقدرها زهيد يستطيع تقريباً كل فرد أن يشارك بالتكافل الإجتماعى من خلالها ، وفى الأضحى تأتى الاضحية ، هكذا يكون المجتمع المسلم .

كما لا يقف التكافل على الجوانب المادية فقط بل يتعداه كما أسلفنا ليشمل جميع متطلبات الحياة ، ومنها نشر العلم داخل المجتمع بين أفراد ، وعدم كتمان العلم عمن يطلبه ، ومن مظاهره أيضاً إعانة المحتاج ، وإغاثة الملهوف .

وإذا غرست أيها المربي فى نفس طفلك منذ نعومة أظفاره التكافل الإجتماعى كما بينه القرآن الكريم ، وعلمته القناعة والرضا برزق الله ، فقد أنشأت طفلاً صحيحاً نفسياً وإجتماعياً ، فمعظم المشاكل التى تواجه الإنسان تكمن فى المال ، فمن يحرص على إعانة الآخرين وحمل همومهم ، فهو إنسان ينظر للمال على أنه وسيلة وليس غاية ، والعكس فمن يعتبر المال غاية فى حد ذاته ، هلك فى بحر الطمع والأنانية والبخل وأحاطت به الهموم والغموم وألمت به الأمراض والأسقام الجسدية والإجتماعية ، وهلك معه من حوله من أفراد أسرته ، فهو لا يعتنى إلا بالمال وجمعه فقط ، بالإضافة الفقراء والمساكين من أفراد مجتمعه ، ولم يكثرث هو فى جمعه عن حقوق غيره ، فلا يضره أكان عن طريق أخذ أموال اليتامى أو بالنصب وظلم الناس .

ولهذه الآثار المدمرة قال تعالى عن المال : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ " { التوبة : ٣٤ } ، وقال تعالى : " الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا " { الكهف : ٤٦ } ، وقال تعالى : " زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ " { آل عمران : ١٤ } .

الإصلاح الإجتماعى :

بجانب ما سبق من مبادئ وأسس التربية الاجتماعية ، يأتي هذا المبدأ البالغ الأهمية ، فالله سبحانه وتعالى يطلب من المؤمن أن يكون إيجابياً في مجتمعه إذا رأى منكراً ينكره ، ويوجهه الواقعين فيه إلى الخلاص منه ويحذره من خطره ، وإذا رأى معروفاً أو خيراً لا يمارس يأمر بأدائه ويعرف به وفضله ، فالفروض المجتمع الإسلامي إيجابياً يعمل على إصلاح مجتمعه ، قال تعالى : " وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " { آل عمران : ١٠٤ } ، وقال تعالى : " يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ " { لقمان : ١٧ } .

فما لاشك فيه أن أى شئ إذا أحكمت غلقه ، فإنه إذا كان هناك من يحاول فتحه فمع مضي الزمن سيفتح ، فالله سبحانه وتعالى كما رأينا وضع من المبادئ والاسس الاجتماعية ما يضمن بقاء الجماعة الإسلامية إلى يوم القيامة ، ولكن مع وجود النفس الأمارة بالسوء والهوى والشهوات وشياطين الإنس والجن ، كل هؤلاء يدعون إلى الفساد والتحلل من تلك المبادئ والأسس ، فكان لابد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، درئاً ودفعاً للوساوس والشهوات ، بحيث لو تغلب أحدهم على فرد ما وجد من يذكره ويعظه ، فيفنى الخير .

ومجتمعاً خالياً من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهو مجتمع يعج بالفتن والشهوات فهو كالسنبلة تأتي بها الريح وتذهب ، ويصبح ذلك المجتمع عرضة للانحراف والهلاك ، وهذا ما حدث مع المجتمع المسلم ، فيوم أن غاب الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، أصابت المجتمع فتنة المال ، ومن بعدها توالى الفتن تترأ ، فإنحط المجتمع في وحل من الشهوات والملذات ، فتداعت عليه الأمم ، وزالت هيئته ، واضمحت ريادته ، فبعد أن كان سائداً تتبعه الأمم أصبح مسوداً تابعاً لغيره ، لا يملك حتى رأيه .

ولذلك علق الله تبارك وتعالى خيرية هذه الأمة وأفضليتها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى : " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ " { آل عمران : ١١٠ } ، فقدم الله أداى الإصلاح الاجتماعى على الإيمان به ، لانه يغيرهما لن يكون هناك إيمان ، إلا بقدرة الله تبارك وتعالى .

ونظراً لأهمية هذا الإصلاح في المجتمع ، وجه الله تبارك وتعالى رسالة إلى المرين يوجههم فيها إلى ضرورة توجيه الأولاد إلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أى دورهم في الإصلاح الاجتماعى ، وجاءت هذه الوصية على لسان لقمان الحكيم وهو يوصى ابنه ، قال تعالى : " يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ

وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ " { لقمان : ١٧ } .

فيصبح لزاماً على المربين آباءاً ومعلمين ، ليس فقط أن يأمرُوا هم أبناءهم وطلابهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ، بل يوجهونهم إلى القيام بهذا الدور ، فيكونون هم أمرون وناهون ، وأن يقصوا عليهم ما جاء في القرآن من قصص تتعلق بهذا الأمر ، ويظهر والهم أهميته وضرورته في الإصلاح وفضله وثوابه عند الله ، كيف أنه دور من إصطفاهم الله من رسله وأنبيائه لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور ، فهم بالقيام بهذا الدور يقتدون بالرسول ويشاركونهم صفة من صفاتهم ، حتى يلمس هذا السلوك شفاف قلوبهم ، فيرتبطوا به ويشبوا عليه ، وينفعلوا له .

إكتساب الآداب والقيم الاجتماعية والسلوكية :

وضع القرآن الكريم جملة من القيم ، التي لاغنى للمجتمع بدونها ، وتعد معايير للحكم على السلوك ، فبدون هذه القيم يقف المجتمع بلا تقدم ، قيم يحى بها الفرد والجماعة ، تدفع إلى سلامة الفرد ووحدة الجماعة وتماسكها ، بما تبثه من تعاون ، وتلقيه من محبة ومودة تذكي روح الأخوة والمساواة ، وتقضى على الحقد والكراهية ، وتذهب بالغضب والحسد والأنانية أدراج الرياح . وإليك هذه القيم والآيات التي تشير إليها : -

١. التواضع :-

التواضع هو ذلك السلوك الفعال في كسب القلوب وأسر العقول ، لذلك لا تجد نبياً إلا متواضعاً ، وقد بين الله تعالى لنبه صلى الله عليه وسلم وللمسلمين أن التواضع هو السر في إمالة القلوب واستقطابها ، وأن الغلظة والتعالى سبب البعد والنفور ، قال تعالى : " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ " { آل عمران : ١٥٩ } .

التواضع هو السلوك الذى يمنح القدرة على التعبير عن النفس ، وتذكر من خلاله السجايا ، وتعرض من خلاله الحقائق بمرونة وبشكل سهل بسيط ، يضيف على صاحبه هالة ووقار يدركه كل من يتعاملون معه ، ويعطى انطباعاً إيجابياً ، وتوفر عليه البحث عن أساليب معقدة يفرض من خلالها نفسه ورغباته .

وقد مدح الله تعالى المتواضعين وذم المستكبرين وتوعدهم بالعذاب الأليم ، قال تعالى : " لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَزُهَبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ " { المائدة : ٨٢ } ، وقال تعالى :

"وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" { الشعراء : ٢١٥ } ، وقال تعالى : " الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى " { النجم : ٣٢ } ، وقال تعالى : " وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ " { الأعراف : ٤٨ - ٤٩ } .

أما الكبر وهو الترفع والتعالى واعتقاده أنه فوق الناس ، قال تعالى فيه : " تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ " { القصص : ٨٣ } ، وقال تعالى : " وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا " { الإسراء : ٣٧ } ، وقال تعالى على لسان لقمان : " وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ " { لقمان : ١٨ } .

فالتواضع ترسيخ وتدعيم للأخوة والمساواة التي وضعها الإسلام ، أما الكبر فهو المرض العضال الذي ينال من الأخوة فيفضي عليها ويضع بدلاً منها الكره والحقد والحسد ، فلا أحد يرضى أن يتعالى عليه أحد ، لذلك حرمه الله بأشد الألفاظ وأبشع الأوصاف حتى ترتعد منه النفوس ، وتتجنبه العقول . ومما يدل على أهميته في تربية الأولاد أنه يدخل ضمن ما وصى به لقمان الحكيم ولده ، فإحرص أيها المربي على التواضع وغرسه في نفوس أولادك وحذرهم من الكبر ، وبطش الله للمتكبرين ، وجازهم زكافتهم على التواضع ، وعليك بقصة " قارون وفرعون " فيهما من العظات ما يكفي .

٢. الصدق :-

قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ " { التوبة : ١١٩ } ، وقال تعالى : " إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا " { الأحزاب : ٣٥ } ، وقال تعالى : " طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ " { محمد : ٢١ } .

أما الكذب ، فقد قال تعالى : " إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ " { النحل : ١٠٥ } ، وقال تعالى : " قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُكَذِّبِينَ" { الأنعام : ١١ } ، وقال تعالى : " انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا " { النساء : ٥٠ } .

وقد عرف العلماء الصدق بأنه مطابقة ما ينطق به اللسان ، لما هو مستكن في القلب والوجدان ، أما الكذب فهو ضده ، وهو الغش الإجتماعي ، وتور الحقائق على الناس .
والصدق منهج تربوي إسلامي ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من قال لصبي تعال هاك ثم لم يعطه فهي كذبة " ^{٣١} ، فهكذا نرى نبينا صلى الله عليه وسلم يحرص تمام الحرص على تربية الأولاد على هذه الصفة الحميدة والخلق القويم ، وكيف لا ، فإن الصدق في الأقوال يؤدي إلى الصدق في الأفعال مما يؤدي إلى صلاح الأحوال ، وإنتشار البركات والرحمات ، وزيادة المحبة والألفة بين أفراد المجتمع ، فيتقدم المجتمع ويعمه الرخاء والإزدهار ، وعلى النقيض إذا إنتشر الكذب إنتشر معه الفساد والإضمحلال والكساد ، بما يؤدي بضعف المجتمع وزوال هيئته لان الكذب يؤدي إلى الفجور كما أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم ، وكما قيل " رأس المأثم الكذب " وهو من أقوى أسلحة إبليس في الإغواء وتسهيل إرتكاب المعاصي ، فالكذب يتعمد الكذب ليغطي ويمحو معصية إرتكبها أو ليتجمل سنية فعلها ، أو ليزر ما يقوم به من أعمال الشيطان ، لذلك يجب أن نصون أبنائنا عنه ونحميهم منه .

٣. التعاون على البر والتقوى :-

قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ " { المائدة : ٢ } ، تشير الآية الكريمة إلى نوعين من التعاون .

النوع الاول : هو الذى إرتضاه الإسلام وحرص عليه وحث عليه المسلمين ، وهو التعاون في كل وجوه الخير التى تعود على الأفراد والجماعات بالنفع ، التعاون على طاعة الله ونصرة دينه ، التعاون لنصرة المظلوم ، التعاون لردع الظالم ، التعاون من أجل المصلحة العامة ، التعاون للإرتقاء بالمجتمع ونشر العلم والثقافة ، وهكذا .

^{٣١} [رواه أحمد وحسنه الألبانى في الترغيب والترهيب " ٢٩٤٢ "] .

أما النوع الآخر : فهو النوع المذموم الذى حاربه الإسلام ، وهو ما كان عليه العرب فى الجاهلية ، وهو التعاون على الإثم والعدوان وظلم الناس والإفساد ونشر الرذيلة والفاحشة فقد كان العرب يقولون أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً .

والإنسان كائن إجتماعى بطبعه ، لا يستطيع العزلة عن المجتمع ، فهو يحتاج إلى غيره لإشباع حاجاته الأساسية من كساء وغذاء ودواء وغير ذلك من متطلبات الحياة ، وغيره كذلك يحتاج إليه ، ومن ثم كان التعاون ضرورة ملحة لابد منها ، لذ حث الإسلام عليه وقننه وضبطه ، ومن ثم ينبغى أن يتعود الطفل على التعاون المثمر والفعال منذ الصغر ، كما ينله على التعاون ضرورة من ضروريات الحياة ، فكثيراً من الأنبياء الصالحين طلب نى الله يعينهم بغيرهم ، مثل " موسى " عليه السلام ، و " ذو القرنين " وغيرهم ، حتى يتقدم بهم المجتمع .

٤. أداء الأمانة :-

قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا " { النساء : ٥٨ } ، وقال تعالى : " إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا " { الأحزاب : ٧٢ } .

يتصور أن مجتمع تضيق فيه الأمانة ، فهو مجتمع لا أمان فيه ، تضيق فيه الحقوق ، ينتشر فيه أمراض القلوب من الحقد والكراهة والغضب ، وهو من علامات قيام الساعة كما أخبرنا بذلك المعصوم عليه الصلاة والسلام ، ومن علامات النفاق ويرتبط بالخيانة العديد من الرزائل التى تحط من قدر الإنسان أمام نفسه وأمام مجتمعه .

٥. الإتحاد :-

قال تعالى : " وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ " { آل عمران : ١٠٣ } ، يأمر الله تبارك وتعالى فى الآية بالإعتصام وهو التمسك زالتشبث بشريعته ، وشبه الشريعة بالحبل زيادة فى الإيضاح وحثاً على التمسك بها ، فهى وسيلة الإتحاد والتجمع التى يستمد منها المسلمون قوتهم بالإلتفاف حولها ، وتنهانا عن التفرق ، التفرق يأتى الضعف والهوان ، وإذلال الأمم والشعوب .

وينبغي للمربين أن يثبوا في نفوس أولادهم قيمة الاتحاد وأثرها على الفرد والمجتمع ، والفُرقة والشتات وأثره على الفرد والمجتمع ، ويعظوهم ويحثوهم بأيات الله ، وقصص القرآن ، قال تعالى : " وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ " { آل عمران : ١٠٥ } ، وقال تعالى : " وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ " { الأنفال : ٤٦ } .

كما ينبغي أن يروى لهم ما فعله الإستعمار والغرب قديماً وحديثاً ، حيث لم يستطيعوا الهيمنة على أرض الإسلام ونهب ثرواتها قديماً لاتحاد المسلمين ، فأدركوا أن قوة المسلمين تكمن في عقيدتهم التي تمدهم بالاتحاد ، فحاولوا إضعاف العقيدة وتمزيق الوحدة ، فحال المسلمين اليوم كما نراه ، لايسر عدواً أو صديق ، ومنها فهناك علاقة طردية بين إرتباط المسلمين بعقيدتهم وبين قوتهم وإزدهار حضارتهم ورفيها .

كما ينبغي خلق المواقف التي تتطلب الاتحاد والتعاون من الأطفال وحثهم عليه ودفعهم إليه ، حتى يعتادو عليه .

٦. الوفاء :-

قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ " { المائدة : ١ } ، من القيم الهامة التي لها أثر عميق في العلاقات الاجتماعية والإنسانية ، فهو يعمق الاحترام بين الأفراد والجماعات ، وينمي المحبة ويوسع دائرة العلاقات الاجتماعية ، والإخلال به ، يجلب إختلال العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع . وقد جاء إستعماله في القرآن الكريم بصيغ مختلفة ومتنوعة ، فتارة يأتي الوفاء بعهد الله ، كما قال تعالى : " يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ " { البقرة : ٤٠ } ، وتارة يأتي بعموم الوفاء ، كقوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ " { الصف : ٢ - ٣ } ، وقال تعالى : " وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا " { الإسراء : ٣٤ } ، وقال تعالى : " وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " { الانعام : ١٥٢ } .

وهكذا يأتي إهتمام القرآن الكريم في تربية المسلمين بالوفاء والحث عليه وتنوع الآيات القرآنية المختصة به توحى بعموم المعنى ، فلا يقتصر فقط على الوفاء بالمواعيد ، والعهود ، والكيل والميزان فقط

، بل المعنى أشمل من ذلك ، وهكذا تتجلى عظمة التربية القرآنية وروحها ، ولكي يحث ويدفع الله تبارك وتعالى المسلمين إلى الوفاء لم يحذرهم من الإخلال به فقط ، بل ضرب لنا أروع وأسمى نموذج في الوفاء ، قال تعالى : " وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ؟ " { التوبة : ١١١ } .

فإحرص أيها المربي على تربية أبنائك عليه ، وإذا لم تفعل فإعلم أن أول من يعاني من ضده هو أنت .

الروابط والصلات الإجتماعية :-

عمل القرآن الكريم على ربط أفراد المجتمع المسلم مع بعضهم البعض بعدة روابط وجعل لها آداب وحقوق ، وحذر قطع هذه الصلات ، دفعاً لتماسك المجتمع وتقوية روابطه ، وزيادة المودة والألفة .

- فمنها روابط الأبوة والبنوة ، قال تعالى : " وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا " { الإسراء : ٢٣ } ، وقال تعالى : " وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا " { الإسراء : ٢٤ } ، وأيضاً قوله تعالى : " وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا " { الإسراء : ٢٨ } ، وقال تعالى : " وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حِمْلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي سَامِيٍّ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ " { لقمان : ١٤ } ، فلنعلم أبنائنا ونريهم على بر الوالدين ، فقد أكثر الله تعالى : " من التوصية بهما خيراً ، حتى أنه قرن الأمر بعبادته بالأمر بالإحسان إليهما ، وقرن الأمر بشكره بالأمر بشكرهم .

- ولا تقتصر العلاقات والصلات الإجتماعية على الوالدين فقط بل تمتد لتشمل جميع الأقارب والأرحام ، فقد نهى الله قطعها وأمر بوصلها ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا " { النساء : ١ } ، وقال تعالى : " وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ " { الرعد : ٢١ } .

- ويوصى أيضاً بالجار القريب ، قال تعالى : " وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا

فَخُورًا " { النساء : ٣٦ } ، فقد جمع الله في هذه الآية المستحقين للإحسان والصلة ، ومنهم صاحب .

فينبغي أن ينظم المربي أوقات للصلة والإحسان إلى هؤلاء المشار إليهم في الآية ويطلع الصغير عليه ، ويشاركه فيها ، ومع مرور الوقت يحاسبه هو إذا كان يصل الأهل والأصدقاء والجيران أم لا ، ويكافئ عليها .
ومن الجوانب المهمة أيضاً التربية الاجتماعية ، أن يحرص المربي على تلقين الأولاد الآداب الاجتماعية ، مثل الإستئذان والسلام ، والتهادى وغير ذلك .

وأخيراً ، فهذا النموذج الأمثل في التربية الاجتماعية ، الذى يضاهيه ولا يضارعه نموذج فهو نموذج من وضع الله الذى يعلم السر وأخفى ، الذى يعلم بمكنون النفوس ، وما يضرها وما يصلحها ، فإذا كنا نريد السلامة لأبنائنا والنجاة من عقاب ربنا فلنتبع ما وجهنا إليه ، ولا نأخذ بما يأتى به العقل الضعيف الذى يخطئ ويصيب ، وخاصة العقول الغربية الكافرة ، فلو كان في أفكارهم خير لصلحت بها مجتمعاتهم ، لكن التفكك والإغراق يعم مجتمعاتهم ، فبتغوا العزة فيما عند الله فهو المعز وهو المزل ، لا إله إلا هو .

وفيما يلي نعرض لبعض لبعض المواقف الاجتماعية ، ونبين آدابها وآثارها:-



جعل الله تبارك وتعالى تحية الاسلام " السلام " ، تعبيراً عن هدف الاسلام ومقصده من نشر الامن والطمأنينة بين أفراد المجتمع المسلم ، ودعوة للمحبة ونشر الخير وزيادة في اللفة والمؤانسة ، ونبتذ الكراهية والبغضاء والتحصيل ضد الحسد والحقد ، وهو مجال لتوسيع العلاقات الاجتماعية وتدعيمها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم ؟ إفشوا السلام بينكم " ^{٢٢} ، جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم شرط المحبة التى هى شرط الايمان ، والايمان شرط لدخول الجنة ، فكأنما جعل إفشاء السلام شرط على دخول الجنة ، فالمسلمين إذا تقابلا أقرأ السلام بينهما ، لك منى السلام ولى منك السلام .

^{٢٢} [رواد مسلم " ٥٤ "]

والله سبحانه شرع السلام منذ بداية الخليقة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لما خلق الله آدم صلى الله عليه وسلم قال : إذهب فسلم على أولئك - نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يخبونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، فقال السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله ، فزادوه : ورحمة الله " ^{٣٣} ، بذلك يكون السلام تحية البشرية جمعاً ، وليست خاصة بالمسلمين فقط .

ويستحب أن يقول المبتدأ بالسلام : " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " ، ويرد عليه الآخر بقوله : " وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته " ، وله بكل كلمه عشر حسنات ، والله يضاعف لمن يشاء ، عن عمران بن حصين - رضى الله عنه - قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليكم فرد عليه ثم جلس ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " عشر " ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد عليه فجلس ، فقال : " عشرون " ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد عليه فجلس ، فقال : " ثلاثون " ^{٣٤} .

والاحاديث الواردة في بيان فضل السلام كثيره منها ما رواه عبد الله بن سلام - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " يا أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام " ^{٣٥} .

^{٣٣} [البخارى " ٣٣٢٦ " ، ومسلم " ٢٨٤١ "] .

^{٣٤} [رواه أبو داود ، والترمذى ، وصححه الالبانى فى صحيح أبى داود " ٤٣٢٧ "] .

^{٣٥} [رواه الترمذى ، وصححه الالبانى فى صحيح الجامع " ٧٨٦٥ "] .